وفي بيت قروي بسيط ، كان والده يتاجر بالاغنام والحبوب ، فيطول غيابه عن البيت ، ومن هنا عرف عبد الحميد في طفولته أمه أكثر مما عرف أباه ، وقد كان ترتيبه في العائلة الولد الثالث .

يومذاك لم تكن وسائل التعليم أكثر من مستوى الكتاب ، حيث يتعلم التلاميذ في غرفة واحدة ، ومن أعمار مختلفة ، على ايدي شيوخ الكتاب تلاوة القرآن الكريم والقراءة وبعض الحساب .

وكان من حظ الصبي عبد الحميد معلم شيخ قاسي القلب ، يضرب تلاميذه ، فامتنع عن الذهاب الى « المدرسة » غير آسف ، ومنذ ذلك الوقت ، منذ كان في الرابعة عشرة ، تنتهي سيرة حياته الدراسية(٢). لقد أصبحت الحياة بالنسبة اليه هي المدرسة الكبرى ، ويبدو ان نفوره من « المدرسة » تأصل في نفسه ، فما حاول طوال سنوات وجوده في الولايات المتحدة ان يدرس اللغة الانكليزية ، لقد تعلم شيئا منها بحكم المعيشة والاضطرار ، الا ان حرمانه من العلم لم يشكل لديه على الاطلاق حاجزا ما بين عقله ، وبين رؤية المظاهر العلمية في البلاد الامريكية واستيعابها ، ولولا هذه المقدرة التي كان يتمتع بها ، لما تمكن من الاقتناع بأهمية العلم المصرفي وأهمية انشاء بنك عربي في فلسطين على الصعيدين ، الوطني والاقتصادي .

عمل اول حياته مع أخويه الكبيرين حجّارا ، كانت مهمته ان يرفع الحجارة من محجر قريب ، فيضعها على بغل ويسوقه الى القدس ، وهناك يبيعها فيربح ليرة ذهبا يوميا ، وقد بقي طوال حياته يعتز بنشأته العصامية ، ويعتز بأنه رفع بيديه مع رفيق واحد له فقط حجارة الكنيسة الالمانية ، حجرا حجرا .

أخذت انباء المهجر الامريكي تتوارد الى سمع الشاب الطموح ، فراودته الاحلام بأن يهاجر . ولكنه ما ان فاتح أمه بالامر حتى جزعت عليه كما جزع أخواه ، وخافت العائلة ان تفقد ولدها الاصغر الى الابد .

وتحايل عبد الحميد على أمه حتى تمكن من أخذ مفتاح صندوق النقود ليتناول جنيهات خمسة فقط ، يشتري بها ثيابا لنفسه ، ولكنه عوضا عن الخمسة تناول الخمسين ، وكانت من الجنيهات الذهب(٣).

وأسرع السارق الظريف الى القدس حيث أتم معاملات سفره وقصد ميناء يافا ، وهناك لحق به أخواه وحاولا منعه ، الا انه أصر ، وغادر البلاد في صيف ١٩١١(٤)، وفي مصدر آخر ان هجرته كانت قبل هذا التاريخ ، في عام ١٩٠٥(٥).

عمل حال وصوله الى بتسبرغ بائعا متجولا ، وفي فلسطين يقال له « بياع بالكشة » ثم انتقل الى بلتمور ، وبعد ان تحسنت أحواله افتتح مخزنا خاصا ، ولما ضاقت بطموحه بلتمور انتقل الى نيويورك ، وهناك أسس مخزنا تجاريا كبيرا يحمل اسمه ، وهكذا تحول من بائع متجول الى تاجر كبير بالجملة يوزع على الباعة المتجولين وعلى المخازن .

وأتقن شومان ادارة مخزنه الكبير ، واستعان بمحاسب ليضمن سير العمل بانتظام ، ولما عاد الى القدس نهائيا ما نسي ان يحمل معه دفتر الحسابات تذكارا وبرهانا(٦).

تأسيس البنك العربي وانتشاره

بالاضافة الى انصرافه الى جمع المال كان طوال وجوده يفكر في كيفية العودة ، وكيفية استثمار أمواله في الوطن .

اتجه فكره اولا الى انشاء مصرف عربي امريكي، تكون له فروع في البلاد العربية وفي الولايات المتحدة ، على ان يتعاون مع اصدقاء له في هذا المشروع ، الا ان المشروع هذا لم ينفذ .

وصادف ان اطلع بواسطة الجرائد العربية التي كانت تصل اليه من فلسطين على فكرة طلعت حرب حول تأسيس مصرف عربي في فلسطين يكون الاول من نوعه ، باسم البنك المصري الفلسطيني ، فكتب حالا الى حرب مبديا كل استعداده للتعاون(٧). وكانت فكرة الاقتصادي المصري الكبير ، ومؤسس بنك مصر قائمة على اساس ان يقوم البنك برأسمال مائة الف جنيه فلسطيني ، فيقدم حرب ٥١ ٪ ، ويقدم الفلسطينيون ٤٩ ٪ ، وقد زار حرب فعلا فلسطين عام ١٩٢٥ واجتمع بالمفتي الحاج امين الحسيني ، ولاقت فكرته تشجيعا كبيرا ، فابتدىء بجمع المال . الا ان المشروع مات وهو في المهد بسبب مقاومة اليهود الشديدة له علنا والانكليز ضمنا(٨).

واثار فكرة البنك من جديد عبد الحميد شومان اثناء عودته من امريكا عام ١٩٢٩ ، فعرج على